

دور المتاحف في الحفاظ على الهوية الثقافية في الجزائر - متحف البارديو أنموذجاً -

The Role of Museums in Preserving Cultural Identity in Algeria – The Bardo Museum as a Model

فتيحة شلوق 

جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، fatiha.chelloug@univ-biskra.dz

() رابط معرف حساب (Orcid)

تاريخ القبول: 2025/03/14

تاريخ الإستلام: 2025/02/12

ملخص:

تمثل المتاحف في الجزائر إحدى الركائز الأساسية للحفاظ على التراث الثقافي والتاريخي للدولة؛ فهي منشآت تعليمية وتربوية وثقافية وعلمية التي تسهر على حماية وحفظ ودراسة وعرض المخلفات الأثرية التي يتم الحصول عليها، للحفاظ عنها وتقديمها وعرضها في أحسن صورة، كما توفر منصة مثالية لإبراز التنوع الحضاري والإرث الثقافي الذي تزخر به الجزائر، ولها دورا مهما في الحفاظ على الهوية الثقافية وتعزيز الوحدة الوطنية، لذلك تعمل الجزائر من أجل تطويرها وترقيتها وهو الحال لمتحف البارديو بالعاصمة. وتهدف هذه الورقة إلى التعريف بالمتاحف الجزائرية مع التركيز على متحف البارديو، وكيف لها أن تكون أداة للحفاظ على الهوية الثقافية وتعزيز وحدتنا الوطنية.

الكلمات المفتاحية: الآثار؛ التراث الثقافي؛ الجزائر؛ الهوية الثقافية؛ المتاحف؛ متحف البارديو.

Abstract:

Museums in Algeria are crucial for preserving the country's cultural and historical heritage. They serve as educational, cultural, and scientific institutions that protect, study, and display archaeological remains. These museums highlight Algeria's rich diversity and cultural legacy. Moreover, they play a key role in safeguarding cultural identity and strengthening national unity. Thus, Algeria remains committed to their continuous development, as seen in the Bardo Museum in Algiers.

This research paper introduces Algerian museums, focusing on the Bardo Museum, and explores how they contribute to preserving cultural identity and reinforcing national unity in society.

Keywords: Algeria; Antiquities; Bardo Museum; cultural heritage; Cultural Identity; Museums.

. مقدمة:

تلعب المتاحف دورا محوريا في ربط الماضي بالحاضر، حيث تعكس التطور الحضاري للبشرية من خلال عرض الموروث المادي لإنجازاتها عبر الزمن، فهي بمثابة مستودع للأدلة التي توثق صراع الإنسان مع بيئته، وتبرز مراحل تكيفه وتطوره المستمر، ومن خلال مقتنياتها تقدم خلاصة التجربة البشرية، مما يتيح للزائر فرصة التفاعل المباشر مع شواهد التاريخ. ومع تنوع مجالات المعرفة، تفرعت المتاحف إلى أنماط متعددة، وأصبحت مراكز تعليمية وثقافية واجتماعية تستقطب الباحثين والطلاب والسياح، مساهمة بذلك في نشر الوعي وتعزيز الهوية الوطنية، إلا أنها تواجه تحديات خطيرة، سواء من التصرفات البشرية أو الكوارث الطبيعية، التي تهدد التراث الحضاري وتؤدي إلى خسائر مستمرة، لذلك تبذل المتاحف جهودا كبيرة لحماية هذا التراث، مستفيدة من التطورات التكنولوجية، ومتعاونة مع المؤسسات المحلية والدولية للحفاظ على إرث البشرية للأجيال القادمة.

وفي هذه الورقة البحثية نحاول تسليط الضوء على المتاحف الجزائرية، مع التركيز بشكل خاص على متحف البارود من خلال استكشاف دوره في صون الهوية الثقافية وتعزيز الوحدة الوطنية، كما نسعى إلى توضيح إسهامات المتاحف في مجالات التعليم والثقافة، إضافة إلى دورها في دعم الدراسات والبحوث الأكاديمية، وبناء على ذلك سيتم تقديم مجموعة من المقترحات بهدف تطوير المتاحف الجزائرية وتعزيز مكانتها كمراكز ثقافية وعلمية أساسية معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي المناسب لمثل هذه الدراسة.

أولا: المتاحف

1. تعريف المتاحف

يعرف المتحف على أنه: " المكان الذي تحفظ وتعرض فيه التحف والأعمال الفنية ذات القيمة المادية والمعنوية من أجل الحفاظ عنها والتمتع برؤيتها " (زهدي، 1988، صفحة 16)؛ فهي: " مبنى لحفظ مجموعات من المعروضات بقصد الدراسة والفحص والتمتع، وتسهيل رؤية المعروضات للجمهور"، وعرفها المجلس الدولي للمتاحف (ICOM) أنها: " مؤسسة تقام بشكل دائم بغرض الحفاظ والدراسة بمختلف الوسائل، وعلى الأخص بغرض عرض مجموعات فنية أو تاريخية أو علمية أو تكنولوجية على الجمهور من أجل تحقيق المتعة"، وطور هذا التعريف في الندوة الحادية عشر المنعقدة بكونيناجن عام 1974م على أن المتحف: " معهد دائم لخدمة المجتمع، ولا يهدف إلى ربح مادي، يفتح أبوابه لعامة الناس بغرض الدراسة والتعليم والمتعة" (قندوس، 2008، صفحة 20)

إرتبطت كلمة متحف (Muses) في أصلها بالمعنى الذي ساد عند الإغريق وهو المكان المرتبط بربات الحكمة (الشقيقات التسعة Muses)؛ وهن الآلهات الراعيات للفن، اللواتي يرعين الغناء والشعر والفنون والعلوم، لذلك كلمة (Musée) مشتقة من كلمة (Mousseion) الإغريقية؛ أي معبد الراهبات ومكان لتذكر الربات التسع، وهن (Calliope) إلهة الشعر والملاحم، (Kleio) ربة التاريخ، (Euterpe) ربة العزف على المزمار، (Melpomene) إلهة التراجيديا أو ربة المأساة، (Terpsichore) ربة الرقص، (Erato) ربة العزف على القيتارة، (Polyhymnia) ربة الأناشيد المقدسة، (Urania) ربة الفلك، (Thalia) ربة الكوميديا (قادوس، 2008، صفحة 287).

اشتق مصطلح "متحف" في اللغة العربية من الفعل "تحف"، الذي يشير إلى الشيء الثمين والفريد الذي يهدى للآخرين (الرازي، 1998، صفحة 126)، ومن هذا المعنى تطور المصطلح ليطلق على المكان الذي يضم معروضات ذات قيمة فنية، حضارية، تاريخية أو طبيعية، بهدف الحفاظ والعرض والدراسة، ويختلف مفهوم المتحف عبر الزمان والمكان، حيث يتأثر بتغير أدواره ووظائفه المتجددة، مما يعكس التطور المستمر لدوره وأنواعه في المجتمعات المختلفة.

والمتحف هو مؤسسة دائمة في خدمة المجتمع دون هدف مريح، مفتوحة للجمهور تقوم بأبحاث تتعلق بالشواهد المادية للإنسان وبيئته تجمعها وتحفظها وتنشرها لأغراض علمية وثقافية؛ دورها يشبه دور المدارس والجامعات ودور الثقافة.

كما يوجد ما يعرف بعلم المتاحف (Museologie)؛ يهتم بكيفية عرض اللقى الأثرية وعمارة المتاحف، أي أنه مجموعة الوسائل والإجراءات والمعارف والتقنيات اللازمة لتسيير وحفظ وعرض التحف (النواوي، 2010، صفحة 09).

2. تاريخ إنشاء المتاحف

يعود تاريخ إنشاء المتاحف إلى العصر الفرعوني حيث أهتم قدماء المصريين بإقتناء وعرض التماثيل والتحف الفنية في معابدهم التي أصبحت لها وظيفتين دينية ومتحفية رغم عدم معرفتهم بمفهوم المتحف، وفي بلاد اليونان نجد المتحف مرتبط بأرباب الحكمة التسعة، ليؤسس في بداية العصر البطلمي أول وأشهر متحف في العصور القديمة على يد ديميتريوس الفاليري عام 290 ق.م (Luc.Benipt، 1971، صفحة 04) (وابان حكم بطليموس الأول) كان عبارة عن مؤسسة بحثية علمية عرفت بإسم الموسيون (رشيد، 1979، صفحة 10)؛ تتكون من مبنى يضم العديد من قاعات البحث، ومكان لإقامة العلماء، وقاعة لتناول الطعام، وألحق بهذه المؤسسة مكتبة كبيرة (هي مكتبة الإسكندرية القديمة)، كما عمل اليونانيون على جمع التماثيل والتحف الفنية في خزائن كانت تبنى على جانبي الطريق المقدس المؤدي إلى المعابد مثل الأكروبول بأثينا، وفي العصر الروماني بدأ الإهتمام بجمع التحف وإقتناء الكنوز الثمينة من قبل الأثرياء، حتى جاء يوليوس قيصر فحرم ذلك وجعلها ملكا للدولة الرومانية (زهدي، 1988، الصفحات 22-26)، وفي العهد الإسلامي إهتم خلفاء الدولتين الأموية والعباسية بإقتناء وجمع التحف في قصورهم، ليضعف هذا الإهتمام في فترة العصور الوسطى بأوروبا ويتجدد مع النهضة الأوروبية، ليظهر المتحف كمبنى مستقل في نهاية القرن السابع عشر ميلادي، ويعد المتحف الإسمولي (Ashmolean Museum) 1683م؛ التابع لجامعة إكسفورد من أقدم المتاحف الأوروبية إن لم يكن أقدم المتاحف العالمية، ثم متحف الدانمارك الذي أسسه الملك فريدريك الثاني، ومتحف ألبير سيبا في أمستردام بهولندا (قادوس، 2008، الصفحات 289-291)، وفي سنة 1750 تم فتح متحف الفاتيكان، ثم المتحف البريطاني بلندن سنة 1753 ثم أفتتح متحف البيوكليمينتينو بروما بالفاتيكان سنة 1773، وفي سنة 1779 كان متحف الهرميتاج ببترسبورغ ببلننغراد والمتحف الامبراطوري في قصر بلفادير بفينا سنة 1781 وفي سنة 1793 أفتتح متحف اللوفر بباريس، ثم متحف البرادو بإسبانيا سنة 1809 والمتحف القديم ببرلين سنة 1830.

وبالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية كان متحف بوسطن سنة 1870 ومتحف النتروبوليتان بنيويورك سنة 1870 ومتحف التاريخ الطبيعي بفيلا دلفيا سنة 1894، أما في روسيا فقد أشيى حوالي مائتي متحف مع بداية القرن العشرين، أما في العالم العربي فتعتبر مصر أول الدول التي اهتمت بإنشاء المتاحف منذ عهد محمد علي باشا سنة 1835، ومن أشهر متاحفها متحف دار الآثار العربية والمتحف القبطي بالقاهرة والمتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية، وفي سنة 1919 ظهر المتحف الوطني بدمشق ومتحف التقاليد الشعبية والصناعات التقليدية سنة 1945 وغيرها، وفي العراق المتحف العراقي سنة 1923 (النواوي، 2010، صفحة 43)، وفي منطقة المغرب العربي نسجل تأسيس متحف البارود بتونس سنة 1888، ومتحف الآثار الكلاسيكية بطرابلس سنة 1919 (محمد، 2002، الصفحات 34-41). وكان من أهم عوامل إنشائها الحنين إلى الماضي، وإهتمام الإنسان بكل ما يتعلق بدراسة التراث الأخذ بالزوال، ونشاط حركة التنقيب والسياحة الأثرية.

3. وظائف وأهمية المتاحف:

تلعب المتاحف دورا بارزا في نشر الثقافة والتعليم والتوعية، إلى جانب الحفاظ على الآثار والمقتنيات التاريخية والفنية التي تعكس التراث الإنساني، وتساهم في تعزيز ارتباط الأجيال بماضيها من خلال عرض الموروث التاريخي والثقافي، بما يساعد في فهم حاضرها والتخطيط لمستقبلها، كما تساهم في إثراء المعرفة وتنمية الجانب الوجداني للشعوب، وتعزز الشعور بالانتماء من خلال التعريف بالتاريخ والثقافة (قندوس، 2008، الصفحات 40-42)،

وتجعل عملية التعلم أكثر متعة وتشويقاً، حيث تتيح للزوار فرصة التفاعل المباشر مع المعروضات، مما يعزز الفهم العملي لما يتم دراسته نظرياً، وتوفر إمكانية الاطلاع على المصادر الثقافية والتعرف على الدلائل التاريخية ومميزات العصور المختلفة، وهذا يساعد في استيعاب الاختلافات في المكونات الثقافية والحضارية، ويدعم التواصل الفكري والمعرفي، كما تمنح الزائر فرصة التعامل المباشر مع التحف التاريخية، بما يثري تجربته الثقافية وتسهم في الحفاظ على الهوية الوطنية من خلال توثيق مسيرة الشعوب، حيث تعد المتاحف مصدراً هاماً للإبداع والابتكار، كما تلعب دوراً محورياً في إعداد الأجيال وتعزيز التفاعل بين الثقافات والشعوب والحضارات المختلفة (النواوي، 2010، الصفحات 65-66).

ثانياً: المتاحف في الجزائر

نشأ النشاط المتحفي في الجزائر نتيجة السياسة الاستعمارية الفرنسية، حيث تميزت هذه السياسة بالتركيز على المدن الكبرى وثرواتها (مدينة تيمقاد، جميلة، تيبازة، شرشال...)، ففي البداية قامت السلطات الاستعمارية بنقل الآثار والتحف إلى خارج البلاد، لكن لاحقاً تغيرت إستراتيجيتها إلى دراسة هذه القطع في سياقها التاريخي، وتبسيط الضوء على أنماط الحياة والثقافة المحلية، وارتبط تاريخ المتاحف الجزائرية بشكل وثيق بالغزو الفرنسي، حيث ظهرت فكرة إنشاء المتاحف في الفترة بين عامي 1924 و1925 من خلال جمع الجنود الفرنسيين للآثار والتحف المنتشرة في الجزائر، ومع مرور الوقت انتقل الاهتمام بهذه القطع إلى العلماء والباحثين الذين ركزوا بشكل أساسي على دراسة الفترات القديمة وما قبل التاريخ، لتأكيد التواجد الروماني وإثبات أن الجزائر كانت دائماً أرضاً للغزو (كولة، 2007-2008، صفحة 51).

بعد الاستقلال، عملت الدولة الجزائرية على إعادة تنظيم المتاحف وتوطينها، حيث وضعت قوانين وتشريعات منها القانون النموذجي للمتاحف الذي يهدف إلى تسيير هذه المؤسسات الثقافية بفعالية، لضمان قيامها بأدوارها في خدمة المجتمع، كما سعت إلى الحفاظ على الذاكرة الوطنية والجماعية، باعتبار أن هذه الموروثات الثقافية جزء لا يتجزأ من الهوية الوطنية والوجود الجزائري (قبوب، 2017، صفحة 138).

كما سبقت الإشارة أن جميع المتاحف الأثرية في الجزائر بمختلف أنواعها وتصنيفاتها تعود إلى فترة الاحتلال الفرنسي، باستثناء المتحف الوطني في سطيف، الذي شيد في أوائل الثمانينات وفق تصميم معماري حديث، إضافة إلى المتحف الوطني للجيش والمتاحف الجهوية للمجاهد، أما الباقي فمعظمها في الأصل كان مساكن ثم تحولت إلى متاحف مثل مسكن إتيان ديني، بينما تم إنشاء بعضها في مبان كانت سابقاً حصوناً أو مدارس، دون مراعاة المعايير الهندسية والأمنية المطلوبة، أما الباقي فهي من مخلفات الحقبة الاستعمارية، ولم تشهد تغييرات جوهرية، مما جعلها غير قادرة على أداء وظائفها في ظل التطورات المعمارية والمتحفية الحديثة.

تم بناء المتحف الوطني سيرتا بقسنطينة، والمتحف الوطني للفنون الجميلة بالعاصمة، والمتحف الوطني أحمد زبانة بوهرا في الثلاثينات من القرن العشرين، وفقاً للمعايير السائدة في ذلك الوقت، أما باقي المتاحف فقد كانت مدارس أو مساجد أو مستودعات تم تهيئتها لتصبح متاحف، مثل المتحف الوطني للآثار الذي كان في الأصل مدرسة، ونسجل أن معظم هذه المتاحف تفتقر إلى المعايير المعتمدة في تصميم المتاحف العصرية، حيث أنها أقرب إلى مستودعات منها إلى مؤسسات ثقافية متحفية بسبب افتقارها إلى تجهيزات التخزين المناسبة، وغياب الملحقات الأساسية مثل مختبرات التصوير والترميم، وقاعات السمعي البصري، وأروقة العرض المؤقت، مما يؤثر سلباً على وظيفتها الأساسية في الحفاظ على التراث وعرضه بشكل ملائم.

وفيما يتعلق بدور وزارة الثقافة، فإن من أبرز صلاحيات وزير الثقافة وفق المرسوم التنفيذي رقم (05-79)، الإشراف على حفظ التراث الثقافي الوطني المادي واللامادي وحمايته وتعزيزه إلى جانب وضع القواعد والتدابير اللازمة للحفاظ على المعالم المعمارية الحضرية والريفية، كما تسهر الوزارة على تقديم الدعم المالي للمؤسسات الثقافية، وعلى رأسها

المتاحف، وتوزيع الميزانيات وفقا لمعايير تشمل مساحة المتحف، حجمه، وعدد العاملين فيه، إلا أن هذه الميزانيات غالبا ما تكون غير كافية لتغطية الاحتياجات الأساسية لهذه المؤسسات (كولة، 2007-2008، الصفحات 48-49). وعلى الرغم من أن الدخول إلى المتاحف والمواقع الأثرية في الجزائر محدودة برسوم إلا أنها رمزية، وبالتالي عائداتها لا تسهم بشكل فعال في حل المشاكل التي تعاني منها المتاحف والمعالم الأثرية، وهذا ما يفسر وضعيتها الحالية التي تتطلب إعادة هيكلة وتحديث لضمان استمرارية دورها في الحفاظ على التراث الثقافي واثمينه.

وبعد التسيير الإداري للمتاحف في الجزائر أحد العوامل الرئيسية التي أعاق تطورهما منذ الاستقلال وحتى اليوم، باستثناء المتاحف الوطنية التي حصلت على استقلالية مالية منذ عام 1987، وتتمثل المشكلة الأساسية في التسيير الإداري المركزي الذي كرس البيروقراطية وأضعف روح المبادرة، مما أدى إلى تدهور حالة المباني، بسبب الإهمال وغياب الصيانة من الجهات المسؤولة.

وخضعت سياسة تسيير المتاحف الجزائرية إلى توجهات الفاعلين القائمين على هذه المؤسسات، حيث كانت جميع المتاحف حتى عام 1985 تخضع لنظام تسيير مركزي، وقد جاء المرسوم رقم 277-85 الصادر في 12 نوفمبر 1985 ليحدد الإطار القانوني وطبيعة المتاحف الوطنية، وشملت: متحف الفنون الجميلة، المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية، المتحف الوطني البارود، متحف سيرتا قسنطينة، متحف زبانة وهران، المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية، متحف الآثار بسطيف، متحف نصر الدين ديني ببوسعادة، أما المواقع والمعالم التاريخية، فقد تم تنظيمها بموجب المرسوم 10-87 الصادر في 6 جانفي 1987، والذي منح المتاحف الوطنية استقلالية مالية وشخصية معنوية، مع تحديد مهامها الأساسية في الحفظ، البحث، والتعليم، وفي سنة 2007 تم إلغاء المرسوم 85-277 الذي يحدد القانون الأساسي النموذجي للمتاحف الوطنية بناء على صدور المرسوم رقم 07-160 المؤرخ في 27 ماي 2007 ويحدد شروط إنشاء المتاحف ومهامها وتنظيمها وسيرها" ويتم إلغاء هذا المرسوم كذلك بعد أربع سنوات فقط من صدوره، وذلك إثر إصدار المرسوم الجديد رقم 11-352 المؤرخ في 05 أكتوبر 2011 "يحدد القانون الأساسي النموذجي للمتاحف ومراكز التفسير ذات الطابع المتحفي" (قبوب، 2017، الصفحات 139-140)، ورغم هذه الإصلاحات لا تزال العديد من المتاحف تعاني من عراقيل إدارية وبيروقراطية تحد من فعاليتها، مما يستدعي إعادة النظر في أساليب التسيير لضمان تحسين الخدمات المتحفية والحفاظ على التراث الوطني.

ثالثا: المتاحف ودورها في حفظ التراث الثقافي:

يعود الاهتمام بالتراث الأثري للأمم إلى دوره الأساسي في ربط الشعوب وتعزيز هويتها الثقافية، إذ تعد الآثار عنصراً جوهرياً في ثقافة وحضارة كل أمة، ومن خلال دراسة التاريخ القديم لأي شعب أو أمة عبر آثارها، يمكننا فهم حاضرها بشكل أعمق، حيث يعد التراث انعكاساً لمسيرة الحضارات وتطورها عبر الزمن، فلا شك أن لكل فرد نصيباً من إرث آلاف السنين من الحضارة التي أبدعها الأجداد بفكرهم وعملهم.

أما فيما يخص التراث الحضاري الجزائري، فهو حصيلة تشكيلات ثقافية متنوعة، تجمع بين العناصر المحلية والتأثيرات الوافدة، مما يجعله امتداداً عبر عصور متعددة، بدءاً من العصور الحجرية وصولاً إلى الفترة الإسلامية، ومع ذلك لم يحظى هذا الإرث الضخم بالاهتمام والعناية الكافية التي تليق به، وهنا يأتي دور المتاحف كمؤسسات محورية في حفظ هذا التراث الإنساني العظيم، حيث تعمل على توثيقه وصيانته وعرضه للأجيال القادمة، ليظل شاهداً على عراقة التاريخ وثراء الثقافة (لعمي، 2012، صفحة 231).

تلعب المواد المتحفية، التي جمعت من خلال عمليات التنقيب المختلفة سواء خلال الحقبة الاستعمارية أو بعد الاستقلال، دوراً هاماً في التعريف بحضارات الجزائر العريقة، إذ يمتد تاريخ الجزائر إلى عصور ما قبل التاريخ، حيث تشمل هذه الفترة العصور الحجرية بمختلف سماتها الثقافية، ثم تأتي الحضارات القديمة التي تعاقبت على أرض

الجزائر، بدء من الحضارة الأمازيغية والفينيقية والقرطاجية، وصولاً إلى الفترات الرومانية والبيزنطية، ومع إنتشار الإسلام في شمال إفريقيا، دخلت الجزائر مرحلة جديدة تميزت بترسيخ الثقافة العربية الإسلامية، مما أدى إلى ازدهار الفكر والحضارة في مختلف مجالات الحياة، ثم جاءت فترة الحكم العثماني، التي شكلت بداية التاريخ الحديث للجزائر، قبل أن تدخل البلاد مرحلة الاستعمار الفرنسي التي تمثل الفترة المعاصرة من تاريخها، ومن خلال المعارضات المتحفية، يمكن استكشاف هذا الإرث الغني وفهم تطور الحضارات التي تعاقبت على الجزائر عبر العصور.

رابعاً: متحف البارود ودوره في الحفاظ على الهوية الثقافية

1. التعريف بالمتحف الوطني البارود

يقع متحف البارود الوطني بقلب العاصمة، ويتربع على مساحة شاسعة تزيد عن 1650 متر مربع يعتبر من أروع البنايات المعمارية لمدينة الجزائر، (الملحق 01) بني في أواخر القرن الثامن عشر (Hameg Abd El Hakim، 2010، صفحة 11) على يد "بن الحاج عمر"؛ ثري تونسي منفي في الجزائر ليكون بمثابة إقامة صيفية يستقبل فيها وجهاء المدينة، وفي سنة 1879 أضاف الفرنسي "بيار جوري"، ملحقاً بالقصر ليستعمل كإسطبل وحظيرة للحيوانات، في سنة 1930 تم افتتاح المبنى كمتحف لما قبل التاريخ والإثنوغرافيا في الذكرى المئوية للاستعمار في الجزائر، ومتحف البارود يعرض تحفاً إثنوغرافية، في حين خصص الملحق لما قبل التاريخ، وعند استرجاع السيادة الوطنية سنة 1962 أصبح المتحف ملكاً للدولة الجزائرية تحت إشراف وزارة التربية الوطنية آنذاك وسمي "متحف البارود الوطني" (كولة، 2007-2008، الصفحات 53-54)، وهو معلم من بين المعالم التاريخية التي تزخر بها الجزائر "وهو مصنف بمقتضى القرار المؤرخ في الجريدة الرسمية في أول من شهر سبتمبر 1985) قبوب. (2017, p. 146)

وهو عبارة عن قصر عتيق الولوج إليه يكون عبر باب ضخيم ومنه تظهر ساحة الرخام البديعة بها نافورة جميلة (الملحق 02)، وأروقة متعددة وعبر رواق مرتفع وواسع ثم ضيق يظهر الديوان وبجانبه غرفة، وعبر بوابة صغيرة منخفضة ندخل إلى البناية المركزية وأول ما يقابلنا السقيفة التي توجد بها عدة كوة مزخرفة بالخزف ثم سلالم ضيقة نجد في نهايتها بهو صغير تعلوه قبة وذلك قبل المرور إلى وسط الدار الذي يظهر كمربع تام تتخلله أقواس جد منسجمة، كل قوس موضوع على عمود يكسوه تاج، وفي أعلى هذه القناطر الثمانية قبة بأضلاع ثمانية بها نوافذ صغيرة، هذا التفصيل في تنظيم المنزل الجزائري التقليدي جد نادر واستثنائي حيث أن وسط الدار في رسمه المعهود والكلاسيكي هو عبارة عن مساحة مفتوحة على السماء، الغرف ممتدة الطول وضيقة في عرضها والتي توجد على جوانب وسط الدار حدد تنظيمها المدى القصير للدعائم وفي وسطها نجد القبو المحفور داخل الجدار وهي الأشكال التي نراها على واجهات البناية.

2. أقسام المتحف

1.2. قسم ما قبل التاريخ

تحتوي هذه الأجنحة على بعض الآثار التي تعود إلى حوالي ثلاث مليون سنة وتنتهي مع بروز أول المدن بحوالي ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، وظهور الأشكال الأولى للكتابة، ومخلفات حضارات ما قبل التاريخ، وينقسم هذا القسم إلى مرحلتين: العصر الحجري القديم: ينقسم بدوره إلى ثلاث فترات؛ العصر الحجري الأسفل الأوسط والأعلى، من خلاله يمكن التعرف على تطور طرق وتقنيات صناعة الأدوات الحجرية مثل التحكم في النار من خلال العصر الحجري القديم الأسفل وبين الأواني الفخارية التي خلفتها الحضارات السالفة، المناجل، أدوات الطحن. العصر الحجري الحديث: من عشرة آلاف إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ويطلق عليه أيضاً عصر الحجارة المصقولة وظهور نمط معيشي جديد أساسه إنتاج الإنسان لغذائه، وذلك بظهور الزراعة أي الثورة الإنتاجية الأولى في تاريخ

البشرية، الشيء الذي أدى إلى استقرار الناس واستئناس الحيوانات محل الصيد، وصناعة الفخار، وأدوات الطحن والرحى التي وجدت بالخصوص في المواقع الصحراوية، إضافة إلى رؤوس السهام وظهور الفن الصخري من نقش ورسم على الصخور خاصة في المناطق الصحراوية التي تعكس لنا الحياة اليومية لتلك الفترة.

عصر فجر التاريخ: ابتداء من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد التي تعتبر مرحلة انتقالية مهدت لظهور العلاقات الاجتماعية من خلال ظهور الأشكال الأولى للكتابة واكتشاف المعادن خاصة البرونز والحديد مما أدى إلى ظهور الحلي والأسلحة، كما ظهرت بعض التطورات في سلوكيات الإنسان اتجاه موته وذلك بدفنهم بمقابر مع الأثاث الجنائزية والحلي الذي يعتبر من أهم معالم فجر التاريخ.

2.2. قسم الإثنوغرافيا

2.2.1. الأقسام المطلة على ساحة الرخام

يضم القسم العلوي "الديوان"، الذي يعكس الجانب التجاري للقصر، حيث كان صاحبه يعقد فيه أهم الصفقات، يتميز هذا الديوان بزخارف فنية أضفت على سقفه لمسة جمالية وروحانية، مما يمنحه طابعا تعبديا ويعكس البعد الديني لأهل المنزل.

أمام الديوان، يوجد رواق يفصله عن "الغرفة المفضلة"، التي تحتوي على أفرشة وأوان نحاسية، إلى جانب أدوات موسيقية مثل القيثار، وفي الجهة المقابلة، تقع "قاعة الموسيقى"، حيث تعرض نماذج من الآلات الموسيقية الشعبية والكلاسيكية من مختلف الدول المشرقية والمغربية.

بجوار قاعة الموسيقى، نجد "قاعة الأسلحة"، التي تضم مجموعة من الأسلحة البيضاء، بما في ذلك السيوف والخنجر، بالإضافة إلى سرج يقال إنه كان للأمير عبد القادر، أما إلى يمين هذه القاعة، فيوجد "المقهى التقليدي"، الذي يمثل الفضاء الحضري حيث كان الأفراد يجتمعون لتبادل الأحاديث وإبرام الصفقات في أجواء تمتزج فيها الموسيقى بالألعاب وتحضير القهوة، وسط هذه القاعات، تمتد ساحة رخامية تتوسطها أشجار ونباتات ونافورة ماء، إلى جانب مسبح تقليدي، ما يمنح المكان سحرا خاصا يعكس الطابع المعماري والثقافي للحقبة.

2.2.2. قسم الإثنوغرافيا الحضرية

يضم هذا القسم عدة قاعات تعرض فيها التحف والمقتنيات بانتظام، بما يتماشى مع الطابع المعماري لكل قاعة، مما يضفي تناغما جماليا على المعروضات.

.وسط الدار:

تتميز معظم البيوت العاصمية ذات الطراز المعماري العثماني بوجود وسط دار غير مسقوف مفتوح على السماء، إلا أن قصر البارود يختلف في هذا الجانب، إذ يتميز بسقف مغلق لوسط الدار ويضم غرفتين، وهو نمط معماري يشبه الأبنية الموجودة في ضواحي مدينة تونس.

يتوسط وسط الدار مبخرة كبيرة تنشر روائح البخور الزكية في أرجاء القصر، إلى جانب بعض الصناديق الخشبية المزخرفة، فضلا عن مجموعة من الأواني النحاسية التي تضيف لمسة تراثية للمكان.

.قاعة العاصميات

تجسد هذه القاعة مشهدا مستوحى من لوحة فنية للرسام الشهير دولاكروا، حيث تسلط الضوء على نمط معيشة المرأة الحضرية داخل المنزل وطريقة قضاء وقت الفراغ، إلى جانب تقديم صورة متكاملة لمحتويات غرفة العاصميات وما تضمه من تفاصيل تعكس أسلوب الحياة في ذلك العصر.

القاعة المغاربية

هذه القاعة تعرض نماذج من التحف التقليدية القادمة من دول المغرب العربي، مثل المغرب الأقصى، تونس، موريتانيا، وليبيا، وتشمل الألبسة التقليدية، الحلي، وبعض الأدوات المستخدمة في صناعة الحلي والصوف، مما يعكس تنوع الحرف والموروث الثقافي المغربي.

قاعة اللباس

تحتوي هذه القاعة على دمي صغيرة ترتدي أزياء تقليدية للرجال والنساء تمثل مختلف مناطق الجزائر، تتضمن هذه الأزياء الملابس الخاصة بالعاصمة، منطقة الشاوية، منطقة القبائل، منطقة ميزاب، والصحراء وغيرها، مثل الحايك، البرنوس، والقشابية، كما تعرض أنواعا من الأحذية التقليدية مثل "القباقب"، وهو حذاء خشبي مطرز بالصدف، إضافة إلى ألبسة عاصمية راقية مثل الكراكو والشراف المطرزة.

قاعة الحمام التقليدي

تقدم هذه القاعة مشهدا يعكس طقوس الحمام التقليدي، وتعرض طرق الاستحمام في الحمام، بدءا من الحمام البخاري وصولا إلى الحمام المائي، إلى جانب غرفة مخصصة للاسترخاء والتزين، مما يعكس العادات والتقاليد المرتبطة بالنظافة والاستجمام.

3.2.2. قسم الإثنوغرافيا الريفية

يتناول هذا القسم تفاصيل الحياة اليومية في المناطق الريفية، ويشمل عدة مجالات من الحرف التقليدية: السعف: يعرض المتحف كيفية صناعة السعف والتقنيات المستخدمة، وهي حرفة تقليدية اشتهر بها سكان الهضاب العليا والصحراء، وتطورت عبر الزمن بأيديهم. النسيج: تخصص سكان الريف في صناعة النسيج، مع اختلاف الأشكال والزخارف والألوان بين المناطق، يقدم المتحف نماذج متنوعة من الزرابي التي تمثل مناطق مثل القبائل، الهضاب العليا، وميزاب، مما يعكس التقاليد الفنية المحلية. الفخار: يعرض مجموعة من الأواني الفخارية المصنوعة من الطين، مثل الأطباق، الأقداح، والمزهريات بزخارف بسيطة وأخرى مركبة، مما يبرز مهارة الحرفيين المحليين.

الحلي: تضم المجموعة المعروضة حليا فضية تقليدية ترتديها النساء في المناسبات والأعياد، وتتميز بتنوعها في الحجم، الشكل، والألوان، حيث تختلف التصاميم حسب المناطق، فمثلا تتميز حلي الطوارق بكبر حجمها وثقلها، بينما تحمل حلي منطقة القبائل والصحراء والأوراس طابعا خاصا يعكس هوية كل منطقة (نقوش برموز معينة وأحجار ملونة)، هذا القسم بأكمله يسلط الضوء على الإرث الثقافي الغني للمناطق الريفية، ويعكس التقاليد التي لا تزال متوارثة عبر الأجيال.

4.2.2. قسم الإثنوغرافيا الصحراوية

يعكس هذا القسم تفاصيل الحياة اليومية في الصحراء، حيث يقدم صورة حية عن أسلوب معيشة رجل الصحراء والمرأة الترقية من خلال عرض مجموعة من الأدوات والمستلزمات المستخدمة في حياتهم اليومية. أدوات الحياة اليومية:

يضم المعرض أكياس التخزين الجلدية، التي تستخدم لنقل المياه وحفظ المواد الغذائية، مما يعكس الأساليب التقليدية في التأقلم مع البيئة الصحراوية القاسية.

الأسلحة الحربية: تعرض القاعة نماذج من الأسلحة التقليدية التي كان يستخدمها الرجل الترقى، سواء للدفاع عن عشيرته أو في الصيد، مما يبرز الجانب القتالي والحماية الذاتية في المجتمع الصحراوي.

-نماذج تمثل الرجل والمرأة الترقية:

الرجل الترقى: كونه دائم الترحال، فهو يحتاج إلى لوازم السفر مثل السرج والمؤنة، حيث تعكس هذه المعروضات أسلوب حياته المتنقل والاعتماد على تجهيزات بسيطة لكنها فعالة.

المرأة الترقية: يبرز المعرض دورها اليومي في المنزل، من خلال عرض أدوات الطهي، التزيين، والآلات الموسيقية، حيث تعرف المرأة الترقية بمهاراتها الفنية وقدرتها على إضفاء لمسات جمالية في حياتها اليومية. هذا القسم يعكس الغنى الثقافي والخصوصية التراثية للمجتمعات الصحراوية، ويبرز أسلوب حياتهم التقليدي الذي يتسم بالبساطة والتكيف مع البيئة الصحراوية الشاسعة.

3. دور متحف البارود في الحفاظ على الهوية الثقافية للجزائر

تتفق العديد من الدراسات أن الهوية تعد مفهوما اجتماعيا يقوم على مبدأ التطابق والانسجام، مع احتوائه على عناصر التنوع والتكامل والاختلاف، فالهوية في التراث الثقافي لا تقتصر على كونها مجرد عنصر، بل تعمل كشرط ومناخ يحفز الإبداع، ويعزز الإحساس بالذات والانتماء، مما يجعلها تعبيرا صادقا عن الذات في أقصى لحظات تفاعلها واحتفالها، ومن هذا المنطلق، تصبح الهوية نقطة انطلاق وهدفا في الوقت ذاته، حيث تستند إلى شعور فطري بالانتماء والمحلية، وتظل متلازمة مع الثقافة الخاصة بحدودها الأصيلة، التي تشكل بدورها حاملا للهوية الجماعية القائمة على الإرث الثقافي والمشاركات المجتمعية، وبهذا تساهم الهوية في فهم البنية الاجتماعية، وتحقيق الانسجام على مستوى الوعي الجماعي.

فالهوية الثقافية بمفهومها الواسع تشمل مختلف جوانب المعرفة والمعتقدات والفنون والسلوكيات والقوانين والأعراف، إلى جانب القدرات المكتسبة داخل المجتمع، كما أن التفاعل بين الثقافات والانفتاح على الآخر من خلال الحوار وتبادل المنافع يعد أمر بالغ الأهمية، إذ يساهم في تعزيز الهوية دون أن يلغي خصوصيتها، ولهذا تصبح الحاجة ملحة إلى ترسيخ الهوية الثقافية وتعزيز مقوماتها، خاصة بين الأجيال الناشئة، ويقع هذا الدور على عاتق المؤسسات الأكاديمية والعلمية، إلى جانب الأسرة ووسائل الإعلام التي تنقل مبادئ الثقافة وتعزز الشعور بالانتماء، بما ينعكس على مدى عمق الهوية الثقافية وتطورها، لذا فإن تعميق التكامل بين هذه المؤسسات يعد أمرا حيويا، نظرا لدورها الجوهرية في بناء الهوية الثقافية وترسيخها (تيزيني، 2008، الصفحات 13-14).

وهنا يبرز دور المتاحف، باعتبارها حافظة للتراث، في تحويل الموروث الثقافي إلى نسيج يربط فئات المجتمع جغرافيا وثقافيا، فهي تساهم في دمج الثقافات المتنوعة في إطار متوازن يواكب بيئته، مع الحفاظ على استمرارية التطور الحضاري، ويتطلب ذلك أن تتجاوز المتاحف وظيفتها التقليدية كمستودعات للتاريخ، لتتحول إلى مؤسسات حيوية تستجيب لتحديات الوطن، وتساهم في توظيف الذاكرة الجماعية لصياغة هوية وطنية قوية ومتجددة.

ينبغي على المتاحف أن تسلط الضوء على التاريخ المشترك الذي يعكس هوية الأمة، من خلال جمع الأدلة التاريخية التي تساعد في بلورة هذا التاريخ بطريقة شاملة وهذا ما نلاحظه في معروضات متحف البارود التي تغطي كل الحقب التي مرت بها الجزائر من فترة ما قبل التاريخ إلى الفترة التاريخية بكل عصورها، كما يجب أن تعمل على إبراز التنوع الحضاري في المجتمع ضمن إطار وحدوي يعزز التماسك الاجتماعي ومن هنا، يصبح من الضروري تصحيح المسار التاريخي ليعكس تاريخا وطنيا قائما على ذاكرة جماعية مشتركة، بعيدا عن التحيز لمناطق أو طبقات أو فئات معينة دون غيرها، مما يضمن تقديم صورة متكاملة للتراث والتاريخ الوطني، وهذا ما نلاحظه في معروضات قسم الاثنوغرافيا الحضرية والاثنوغرافيا الريفية.

وعلى المستوى العملي ينبغي أن تخطط المتاحف لعرض مقتنياتها ورسائلها بطريقة هادفة وموجهة للزوار، حيث تنقل لهم تجربة ثقافية ثرية تعزز الشعور بالانتماء وهو الحال في متحف البارود بتقسيمه إلى قسمين الأول خاص بفترة ما قبل

التاريخ وعصورها وحضاراتها المختلفة والثاني خاص بالفترة التاريخية ومختلف عصورها مع إنتاج كل عصر في مختلف جوانب الحياة، كما يجب تنظيم معارض مؤقتة ومتنقلة إلى جانب العروض الدائمة، إضافة إلى إقامة فعاليات فنية تتضمن لوحات ومنحوتات، فضلا عن المحاضرات والندوات والمهرجانات التي تقام في المناسبات الدينية والوطنية، والتي تصب جميعها في تحقيق هذا الهدف، وأيضا ألا يقتصر دور المتحف على الجمهور المحلي، بل يجب أن يسعى إلى استقطاب الزوار الأجانب، والعمل على إدماجهم في التجربة الثقافية بحيث يشعرون بأنهم جزء من منظومة ثقافية عالمية.

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف، يجب ألا تظل المتاحف منعزلة عن محيطها، بل عليها أن تسعى إلى بناء شراكات قوية مع مختلف المؤسسات والهيئات، حيث يشترك الجميع في مسؤولية الحفاظ على التراث وتعزيز الهوية الوطنية والانفتاح الثقافي، وهذا ما يقوم به متحف البارود من خلال مشاركته في تظاهرة الجزائر عاصمة الثقافة العربية ومختلف التظاهرات الوطنية، وإصداراته المتنوعة مثل حولية كل سنة بمناسبة شهر التراث ومختلف المطبوعات، ووضع الحقيبة المتحفية والتنقل بين الولايات، والسماح بممارسة مختلف النشاطات به كإقامة حفلات أو سهرات أو تمثيل قطع مسرحية أو أفلام، وعقد شراكة مع العديد من المؤسسات والوزارات لتبادل الخبرات كشراكته مع متحف المجاهد والمتحف المركزي للجيش، كما يعمل على استغلال مختلف وسائل التواصل الاجتماعي والموقع الإلكتروني للمتحف والرقمنة ليعطي فرصة أكبر للتعريف بدوره على المستوى الوطني والعالمي.

خاتمة:

تعد المتاحف من أبرز المؤسسات التي تعكس الاهتمام بالتراث الثقافي والتاريخي للأمم، حيث تبرز مختلف جوانب تاريخ الوطن وتجسد الهوية الثقافية للشعوب، وعلى المستوى المجتمعي تلعب دورا مهما في تعزيز وعي المواطنين بأهمية الحفاظ على تراثهم، باعتباره شاهدا على عراقية وأصالة الأمة، كما تتيح للأجيال القادمة فرصة الاطلاع على تاريخها وتراثها، مما يساهم في نقل هذه القيم والمكونات الثقافية من جيل إلى آخر، ويساعد في تشكيل شخصية الأفراد منذ الطفولة، ليكبروا في مجتمع متجذر في ثقافته وقيمه الحضارية.

لذلك، يعد إنشاء المتاحف ضرورة وطنية للحفاظ على التراث الثقافي، باعتباره ثروة وطنية ومكونا رئيسيا لهوية المجتمع الجزائري، كما أن تطويرها يمكن أن يساهم في دعم السياحة الثقافية، مما يجعلها موردا مهما للتنمية السياحية المستدامة في المستقبل.

لمتحف البارود دور هام في الحفاظ على الهوية الثقافية من خلال مجموعته المتحفية الثرية ومختلف الأنشطة والعروض التي يمارسها، كما يعتبر من أهم المتاحف الجزائرية بتنوع مقتنياته المتحفية التي يعمل على تنميتها والتعريف بها واستغلالها للحفاظ على الهوية الثقافية، وحتى يؤدي هذا الدور وبفعالية نرى بضرورة إقامة شراكة مع مختلف المؤسسات الثقافية ووضع قاعدة بيانات رقمية تثمن دوره.

الإحالات والمراجع:

- Hameg Bentelis Souad Hameg Abd El Hakim .Monument de bardo:chronique dune restauration. ministère de la culture. Alger.(2010)
- Luc.Benipt .musée et muséilogie presse universitaire de France .Paris..(1971)
- إبراهيم عبد السلام النواوي. علم المتاحف. مطابع المجلس الأعلى للآثار. مصر. (2010)
- بشير زهدي. المتاحف. منشورات وزارة الثقافة. دمشق. (1988)
- تقي الدباغ، فوزي رشيد. علم المتاحف. جامعة بغداد. بغداد. (1979).
- رفعت موسى محمد. مدخل إلى فن التاحف. الدار المصرية اللبنانية. القاهرة. (2002).

- طبيب تيزيني. مفهوم التراث العالمي، مدخل بإتجاه التأسيس. مجلة عالم الفكر. العدد (04)، 23-07. (2008).
- عبد الرحيم لعبي. دور المتحف في تثمين التراث المادي. مجلة منبر التراث الأثري، المجلد 01. العدد (01)، 231-227. (2012).
- عزت زكي حامد قادوس. علم الحفائر وفن المتاحف. مطبعة الحضري. الإسكندرية. (2008).
- عوض عمر عوض قندوس. متاحف مكة المكرمة وأساليب تطويرها. جامعة أم القرى. السعودية. (2008).
- غنية حاج كولة. المتاحف الجزائرية بين الممارسة الثقافية والاستهلاك المظهري. جامعة الجزائر: جامعة الجزائر. (2007).
- (2008)
- لخضر سليم قبوب. قراءة في النصوص التشريعية المتعلقة بالمؤسسة المتحفية بالجزائر. مجلة التنوير. العدد (3)، 138-151. (2017).
- محمد بن أبي بكر الرازي. مختار الصحاح. المكتبة العصرية. بيروت (1998).

الإحالات والمراجع:

- Hameg Bentelis Souad Hameg Abd El Hakim. Bardo monument: chronicle of a restoration. ministry of culture. Algiers (2010)
- Luc.Benipt. museum and museology university press of France. Paris (1971)..
- Ibrahim Abdel Salam Al-Nawawi. Museology. Printing presses of the Supreme Council of Antiquities. Egypt. (2010)
- Bashir Zuhdi. Museums. Publications of the Ministry of Culture. Damascus. (1988)
- Taqi Al-Dabbagh, Fawzi Rasheed. Museology. University of Baghdad. Baghdad. (1979).
- Rifaat Musa Muhammad. Introduction to the art of museums. Egyptian Lebanese House. Cairo. (2002).
- Taib Tezini. The concept of world heritage, an introduction towards establishment. Alam Al-Fikr Magazine. Issue (04), 07-23. (2008).
- Abdul Rahim Lammi. The role of the museum in valuing material heritage. Manbar Archaeological Heritage Magazine, Volume 01, Issue (01), 227-231. (2012).
- Izzat Zaki Hamed Qadous. Paleontology and museum art. Al-Hadari Press. Alexandria. (2008).
- Awad Omar Awad Qandous. Museums of Mecca and methods of developing them. Umm Al-Qura University. Saudi Arabia. (2008).
- Ghania Haj Koula. Algerian museums between cultural practice and visual consumption. University of Algiers: University of Algiers. (2007-2008)
- Lakhdar Salim Qaboub. A reading of the legislative texts related to the museum institution in Algeria. Al-Tanweer Magazine, Issue (3), 138-151. (2017)
- Muhammad bin Abi Bakr Al-Razi. Mukhtar Al-Sahah. Modern library. Beirut (1998).

-الملحق:



الملحق رقم 01: واجهة المدخل الرئيسي لمتحف الباردو



الملحق رقم 02: ساحة ونافورة متحف الباردو